Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وإنه ليجدر بنا الآن ـ وقد اندثر عهد الخلاف وماتت دوافعه ـ أن نعود إلى النحو جميعه ؛ كوفيه وبصريه ، فننشره ونتدارسه ، فقد يكون في نحو الكوفيين المغمور ما هو أكثر ملاءمة للغتنا وتطورها من نحو البصريين ، وحسبنا أن نعود إلى كتاب « الإنصاف في مسائل الخلاف » لابن الأنباري ونطالع فيه آراء البصريين والكوفيين ، لنعلم أن الحق لم يكن دوماً إلى جانب البصريين ، وأنّ نظرة الكوفيين في بعض المسائل كانت أكثر سداداً وتفهماً لواقع اللغة من نظرة البصريين .

ولا شك أن خير المصادر لأقوال الكوفيين تلك الكتب التي وضعها المنصفون من العلماء ، فأعطوا كل ذي حق حقه ، وذكروا لكل طرف نصيبه من الإحسان والإساءة ، وأبو القاسم الزجاجي واحد من هؤلاء الذين يؤلفون « ذاكرين ما بين البصريين والكوفيين من الخلاف ، ومحتجين للفريقين بأجود ما احتجوا به ...غير متحاملين على أحد من الفريقين »[1] ثم إنه تلقى علم كل من الطرفين من أصحابه مباشرة ، فأخذ عن ابن السراج تلميذ المبرد ، كما أخذ عن أبي موسى الحامض تلميذ ثعلب ، وعن الزجاج تلميذهما جميعاً .

ونحن إن كنا نظرنا إلى كتاب الإيضاح فيما سبق نظرة عامة ، استعرضنا فيها مواده ، ونظرة أخرى تاريخية ، فقد يفيدنا الآن أن ننظر إليه من الوجهة المذهبية في النحو لنرى ما سجله من آثار الخلاف بين البصريين والكوفيين .

لقد كان للخلاف بين البصريين والكوفيين نصيب في كتاب الإيضاح ؛ فكان الزجاجي إذا بحث مسألة من مسائل النحو دار حولها شيء من الخلاف بين النحويين ، يذكر هذا الخلاف ، ويذكر الآراء المتباينة شرحاً وتفصيلاً ، ورداً أو قبولاً ، مع نسبة كل رأي إلى صاحبه .

= لعبد القادر الكنغراوي المتوفى سنة ١٣٤٩ هـ ، وهو من مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق وتحقيق الأستاذ محمد بهجة البيطار .

(١) من حديث الزجاجي عن منهجه في مقدمة كتابه (الإيضاح في علل النحو) .